

# **رواية الطف لثورة الإمام الحسين<sup>(ع)</sup> في المصادر الأندلسية**

الأستاذ المدرس الدكتور  
رضا هادي عباس  
الجامعة المستنصرية / كلية التربية





## رواية الطف لثورة الإمام الحسين (ع) في المصادر الأندلسية

الأستاذ المدرس الدكتور

رضا هادي عباس

جامعة المستنصرية / كلية التربية

لقد شاء الله أن يُخلد الإمام الحسين بن علي (ع) وثورته التصحيحية ب مختلف الوسائل والأساليب وهيأ لهذا الأمر من عبادة، يقومون به طواعية وبلا مقابل مهما كبدتهم ذلك من خسائر وضحايا مادية ومعنوية، وهو كما يبدو، وعد موعود وعهد معهود قبل بداية الحركة الحسينية على أرض الوجود.

يتربع الإمام الحسين (ع) على قلب كل مسلم، وبل كل حر من أحرار البشرية ناهيك عن جنسه ومعتقده، وكذلك كثرت الرایات التي ترفع الإمام الحسين (ع) شعاراً في حركتها التحريرية أو الثورية أو التصحيحية، سلمية كانت أم مسلحة بغض النظر عن التوایا والأهداف المضمرة ولم تكن الأندلس (إسبانيا والبرتغال حالياً) بعيدة عن هذه الرایات.

إن هذه الشعائر والمراسيم والمواكب التي تقام في أيام شهري محرم وصفر من كل عام هي واحدة من الأساليب المهمة في تخليد قضية الإمام الحسين (ع) التي نهض بأعبائها الإمام الحسين (ع) واستشهد على طريق أهدافها ولم تقصر هذه المراسم على العراق (مسرح الأحداث) بل أمتدت إلى بلدان أخرى من العالم العربي الإسلامي في المشرق والمغرب بل أمتدت إلى أوروبا وإلى جنوب شرقي آسيا حتى أمريكا اللاتينية عن طريق المسلمين من أحباب أهل البيت (ع).

وفي هذا المجال تتجه إلى الأندلس (إسبانيا والبرتغال) وهي من البلدان التي تأثرت بأهل البيت (ع) وأحبتهم على الرغم من أن الحكومات التي تعاقبت عليهم لم يكن هواها مع أهل البيت (ع) إلا أن المسلمين هناك قد أحبوا أهل



البيت عموماً والإمام الحسين<sup>(ع)</sup> خصوصاً لأن الإمام الحسين<sup>(ع)</sup> لم يُفجر ثورته أشراً ولا بطراً ولا ظلماً ولا مفسداً وإنما أنطلق ليؤسس معالم الإصلاح في البلاد ويتحقق العدل الاجتماعي بين الناس ويقضي على أساليب الهزيمة التي مر بها المسلمون في ظل الحكم الأموي الذي الحق بالأمة الهزيمة والعار.

وي يكن تقسيم التاريخ السياسي في الأندلس إلى ثمانية عصور:-

١- عصر الفتح ٩٢-٩٥ هـ / ٧١٤-٧١١ م

٢- عصر الولاة ٩٥-١٣٨ هـ / ٧٥٥-٧١٤ م

٣- عصر الإمارة الأموية ١٣٨-٩٢٩ هـ / ٧٠٥-٩٢٩ م

٤- عصر الخلافة الأموية ٣١٦-٥٤٢٢ هـ / ٩٢٩-١٠٣١ م

٥- عصر الطوائف ٤٢٢-٤٨٤ هـ / ١٠٣١-١٠٩١ م

٦- المرابطون ٤٨٤-٥٣٩ هـ / ١١٤٥-١٠٩٢ م (الأندلس ولاده مرابطية)

٧- الموحدون ٥٤٠-١٢٣٢ هـ / ١١٤٥-١٢٣٢ م (الأندلس ولاده موحدية)

٨- مملكة غرناطة ٦٣٥-٨٩٧ هـ / ١٤٩٢-١٢٣٨ م (الأندلس الصغرى)<sup>(١)</sup>

دأب أكثر المؤرخين في التاريخ العربي الإسلامي على إجتنار ما دونه أسلافهم حول ثورة الحسين<sup>(ع)</sup> دون روية وهذا ما دعا أكثر المحققين من أهل الأنصاف إلى تأييد الأصوات المنادية الداعية إلى إعادة كتابة التاريخ وبأسلوب جديد لإزالة بعض الظلالات التي لحقت مجتمعنا الإسلامي من جراء تلك الأفعال غير المسئولة التي أتى بها أصحابها لسبب أو لآخر.

وي يكن القول بأن تاريخ التشيع بشكل عام وثورة الحسين<sup>(ع)</sup> بشكل خاص أصحابه بحيف من المؤرخين حيث حاول أكثرهم إفهام الناس ومن خلال ما كتبوه عن تاريخ الأندلس بأنها (أي الأندلس) أممية الفتح أممية السقوط إلا أنهم وفي أحسن الأحوال ذهبوا إلى أن من جاء من الحكومات والدول بعد



سقوط الخلافة الأموية بالأندلس قد سارت على نفس المنوال الذي أثبتت أصوله من قبل الأمويين أنفسهم.

وفي السياق نفسه عندما يذكرون الحركات الفكرية والمدارس والمذاهب الدينية في الأندلس فأنهم لا يتذكرون إلا مذهب مالك متناسين بذلك بأن جميع الحركات والمذاهب قد دخلت الأندلس ولا نرى تفسيراً لذلك إلا كون الذين دونوا تاريخ الأندلس في تلك الحقبة من الموالين للسلطة الأموية (١٣٨-٧٥٥هـ/١٠٣١م) وبهذا يكون وبتعبير آخر أن تاريخ الأندلس قد كتب بحسب ما يرغب الحكام الأوائل للأندلس، وحسب أهوائهم وميولهم وقد جاء الخلف من المؤرخين فأخذوا بالعزف على الأوتار نفسها التي صاغها السلف بدون دقة ولا تحيص<sup>(٢)</sup>.

"أن الدراسات التاريخية لا تقوم غالباً إلا على المصادر والأصول من كتب ووثائق ودوريات وغيرها من نصوص مكتوبة، ولما كانت هذه المصادر لا تسلم من التزوير والاحتلال، ولا تخلي روایاتها وأخبارها من الأخطاء والمبالغات والأكاذيب، التي تتفاعل في خلقها عوامل وظروف وأغراض كثيرة ومتعددة، فإن عملية تقد هذه المصادر دراسة علمية تستهدف الوصول إلى الحقائق التاريخية"<sup>(٣)</sup>.

ومن هنا كان علينا أن نقف أمام نصوص المؤرخين الأندلسيين وغيرهم موقف النقد والتحليل، لاسيما ونحن نكتب عن رواية الطف لشورة الإمام الحسين<sup>(٤)</sup> في المصادر الأندلسية التي أصبحت بحيف المؤرخين، فقد كانت السلطة تحرص دائماً على إيجاد كتاب خاصون بها يكتبون منجزاتها الخاصة بها ويحرفون الجانب المعارض لها، بل يحاولون إخفاء الكثير من الحقائق التي تتعلق بهذا الجانب ومنهم الدولة الأموية في المشرق أو في الأندلس، ونجد مصداق ذلك في قول محمود عباس العقاد "... وجاءت تلك الدولة الأندلسية بمؤرخين من الأعلام ينصبون الميزان راجحاً لكل سيرة أموية لا يقصدونها



بالمحاباة ولكنهم لا يستطيعون أن يقصدوها بالنقد واللامة لأنهم مصروفون بهواهم عن هذا الطريق<sup>(٤)</sup>.

لقد كتب الباحث محمود علي مكي بحثاً عن التشيع في الأندلس منذ الفتح حتى نهاية الدولة الأموية<sup>(٥)</sup> قبل أكثر من نصف قرن أعقبه عدد من الباحثين المحدثين في العالم العربي والإسلامي فضلاً عن بعض كتابات المستشرقين والمستعربين عن الموضوع باللغات الأجنبية، وعند دراسة وتحقيق بعض المخطوطات الأندلسية والمغربية وظهور طبعة جديدة لكتاب "أعمال الأعلام" فيمن بُويع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام بأقسامه الثلاثة المشرقي والأندلسي والمغربي للسان الدين ابن الخطيب (ت ٧٧٦هـ) حيث وجدنا نصاً ذات أهمية كبيرة عن تقاليد أهل الأندلس عامة ولاسيما أهل شرق الأندلس في ذكرى استشهاد الإمام الحسين<sup>(٦)</sup> من التمثيل بإقامة الجناز وإنشاد المراثي ... ووصف إحدى هذه المراسيم وصفاً حياً يُخيّل لنا أننا نرى إحياء الذكرى في إحدى مدن العراق وذكر أن هذه المراثي كانت تسمى الحسينية وأن المحافظة عليها بقيت إلى أيام ابن الخطيب الغرناطي في عهد مملكة غرناطة (٦٣٥-١٢٣٨هـ / ١٤٩٢-١٤٩٧م) وما ذكره "لم يزل الحزن متصلًا على الحسين والمأتم قائمة في البلاد يجتمع لها الناس ويختلفون لذلك ليلة ويوم قتل فيه بعد الأمان من نكير دول قتلته ولاسيما بشرق الأندلس.

فكانوا على ما حدثنا به شيوخنا من أنهم بالشرق (شرق الأندلس) يقيمون هم الجنائز في شكل من الشياب يسجون خلف سترة في بعض البيوت ويحتفل بالأطعمة والأضواء والشموع وتحلب القراء، يوقد البخور ويتجنى بالمراثي الحسينية .... والحسينية التي يستعملها اليوم المسمعون، فيلوبون العمائم الملونة ويدللون الأثواب في الرفض كأنهم يشقون الأعلى عن الأسفل، بقية من هذا لم تقطع بعد وأن ضعفت مهما قيل: الحسينية أو الصفة، لم يُدرِّرَ اليوم أصلها<sup>(٧)</sup>.



عند دراسة هذا النص يفتح لنا آفاقاً واسعة المؤرخ لسان الدين ابن الخطيب الغرناطي من أعلام الفكر الأندلسي، ذو الوزارتين في مملكة غرناطة، يسجل ذكرى عاشوراء في الأندلس بشكل عام ولاسيما في مملكة غرناطة لأنها بقيت محافظة على ما بقي للعرب المسلمين من سلطان سياسي ووجود حضاري حتى خروج العرب من الأندلس سنة ٨٩٧هـ / ١٤٩٢م.

ولكن كيف وصلت الثقافة الشيعية ومدرسة أهل البيت<sup>(٤)</sup> إلى الأندلس؟ نحن نعرف بأن الأندلس تبعد آلاف الكيلومترات عن المشرق عامة وعن مسرح الأحداث في العراق وكربلاء خاصة وقد حكم الأمويون أكثر من قرنين ونصف في الأندلس (١٣٨-٧٥٥هـ / ١٠٣١-٤٢٢م) فضلاً عن دور المرابطين وغيرهم في مضائق أهل البيت<sup>(٥)</sup> وأتباعهم.

من المعروف تاريخياً أن الأندلس وخلال الوجود الإسلامي مرت بعدة عصور تاريخية، وكان لكل عصر نظامه السياسي والفكري الذي يختلف عنه في العصور الأخرى، من هنا فإن تلك النظم السياسية اختلفت في موقفها من التشيع في الأندلس.

وما يحب ذكره في هذا المجال أن نظم الحكم في الأندلس وفي غيره كانت تعمل دائماً على إيجاد ركائز لها في الدفاع عن معتقداتها السياسية والمذهبية، وأول هذه الركائز السلطوية والتي كان النظام السياسي يحرص في أن تقف إلى جانبه هي فئة الفقهاء، ولاسيما فقهاء المالكية لما لهم من نفوذ واسع في الأندلس.

أما الركيزة الثانية فكانت إيجاد من يؤرخ إلى هذا النظام ويبرز جوانبه الإيجابية والتعرض لكل من يحاول مقاومة النظام السياسي، ومن هذا المنطلق نستطيع أن نُشبه السلطة السياسية في الأندلس بمثلث يمثل فيه الحكام (أمراء وخلفاء) الرأس، ويمثل الفقهاء والمؤرخين قاعدته<sup>(٦)</sup>.



أخذ التشيع طريقه إلى الأندلس ودخل أرضها مع الأفواج من المسلمين الذين وطأوا أرض الأندلس في أيام الفتح الأولى (٩٢-٩٥ هـ / ٧١٤-٧١١ م) وهم يحملون لها الإسلام، فحب أهل البيت<sup>(٤)</sup> كان موجوداً لدى الوالى وقائد فتح الأندلس موسى بن نصیر (٩٧-١٩ هـ) وهو من عين التمر بكرباء حيث كان والده قد امتنع عن قتال الإمام علي بن أبي طالب<sup>(ع)</sup> وكان على حرس معاوية، وذكرت المصادر أن حملة موسى بن نصیر التي عبرت إلى الأندلس سنة ٩٣ هـ / ٧١٢ م قد ضمت العديد من التابعين ومنهم حنش بن عبد الله الصناعي (ت ١٠٠ هـ / ٧١٨ م) الذي كان من أصحاب الإمام علي<sup>(ع)</sup> في الكوفة<sup>(٨)</sup> وربما كان ساكناً فيها وشارك الإمام علي<sup>(ع)</sup> في حروبه ضد معاوية بن أبي سفيان ضد الخوارج، وبعد استشهاد الإمام علي<sup>(ع)</sup> اضطر هذا النابي إلى مفارقة الكوفة بسبب تردي الأوضاع السياسية في العراق في ظل الخلافة الأموية (٤١-١٣٢ هـ) وأتجه نحو مصر واستقر بها، ويظهر أنه اختار الجهاد والشهادة على المكوث في الكوفة، لاسيما وأن مصر كانت في تلك المدة تمثل البوابة التي تنطلق منها الجيوش الإسلامية نحو المغرب لغرض تحريره من الاحتلال البيزنطي (٢١-٩٠ هـ / ٦٤٢-٧٠٩ م). ولكن ما علاقة حنش الصناعي بالتشيع وما هي جهوده في الأندلس؟ وما موقفه من الأحداث السياسية الكبرى في عصره لاسيما ثورة الإمام الحسين<sup>(ع)</sup> في كربلاء؟

كانت الأندلس خلال المدة التي دخلها حنش الصناعي وهي عصر الفتح والولاة (٩٢-١٣٨ هـ)، لم تُعرف تسلطاً مذهبياً أو سياسياً لانشغال المسلمين بالفتحات، وبالتالي كان من الممكن أن يمارس صاحب أي عقيدة نشر عقيدته دون أن يكون هناك أي ضغوط كما حدثت في العصور التالية. فمن غير بعيد أن يكون حنش قد تلمذ على يد الإمام علي بن أبي طالب<sup>(ع)</sup> وعبد الله بن عباس (ت ٦٨٧ هـ / ٢٠٦ م) وعبد الله بن مسعود وغيرهم وقد وثقه ابن الفرضي (ت ٤٠٣ هـ / ١٠١٢ م) بقوله "أنه تابعي كبير ثقه"<sup>(٩)</sup> لا يستبعد أن يكون قد قام بنشر فضائل أهل البيت<sup>(ع)</sup> وقد أغفلت المصادر ذلك في حين

يرى الباحث مكي، أن حنشاً لم يُعرف في الأندلس بأي نزعة علوية وينسب إليه فضل بناء مسجدى سرقسطة والبيهـ(١٠).

لقد أبدى الأمويين نحو إسبانيا اهتماماً كبيراً ربما كان مرده إلى غناها وكثره ما غنموه منها، واستقر في الأندلس منذ فتحها عدد كبير من موالٍ بني أمية وجنودهم المخلصين، كما أن معظم من أشتراك في الفتح من العرب كانوا من الشاميين الذين قاموا على أكتافهم الدولة الأموية، وكان جنود بلج بن بشر القشيري الشاميون يذكرون والي الأندلس عبد الملك بن قطن الفهري الذي ولـي الأندلس لمرتين، أنه أنها أفلت من سيوفهم يوم الحـرة سنة ٦٣هـ وكان في صف الأنصار ضد جيش يزيد بن معاوية، وكان جزاؤه على ذلك أن صلبوه ومثلوا به سنة ١٢٣هـ ٧٤١م. ويـجب أن نذكر كذلك أنه كان من بين جنود بلج هؤلاء عدد أشتراك في الحروب التي اشتعلت بين الأمويين وخصومهم الشيعة في العراق. ومن أهم هؤلاء شمر بن ذي الجوشن الكلابي الذي قـتل الإمام الحسين بن علي<sup>(٤)</sup> بيـدـهـ في كربلاء سنة ٦١هـ ٨٠م ثم هـربـ من الكوفـةـ إلى الشـامـ خـوفـاـ من انتقامـ المـختارـ بنـ أبيـ عـبيـدـ الثـقـفـيـ، ودخلـ الأندلسـ معـ بلـجـ وكانـ حـفيـدـهـ الصـمـيلـ بنـ حـاتـمـ منـ أـكـبـرـ القـوـادـ فيـ الأـنـدـلـسـ وزـيـراـ لأـمـيرـهاـ يوسفـ بنـ عبدـ الرـحـمـنـ الفـهـريـ ١٢٩ـ ١٣٨ـهـ<sup>(١١)</sup>.

وفي ضوء ما تقدم يمكن أن نؤكّد أن التشيع دخل الأندلس مع دخول الإسلام لها، ورغم أن الأندلس فُتحت من قبل الأمويين وأنهم كانوا يعيّنون عليها الولاة إلا أننا لم نلاحظ أي موقف لهؤلاء الولاة في الأندلس اتجاه التشيع للأسباب التالية:-

- أن عهد الولاية (٩٥-١٣٨هـ / ٧٥٥-٧١٤م) في الأندلس أمتاز بكونه عهد فتح وجهاد لرفع راية الله أكبر ونشر الإسلام.
  - أن التشيع كان في بداية دخوله إلى الأندلس ولم تكن هناك مضائقات سياسية أو مذهبية أو فكرية خلال هذه الحقبة.



٣- أن المغرب كان تابعاً إدارياً للخلافة الأموية في بلاد الشام، ولم يشهد خلال هذه الحقبة التاريخية صراعات سياسية أو مذهبية كما في الحقبة التالية، ونحن نعرف أن المغرب كان له إنعكاساً واضحاً على الأندلس<sup>(١٢)</sup>.

وبعد سقوط الخلافة الأموية في دمشق ٧٤٩هـ/١٣٢م بسبب ضربات الأحزاب المعارضة من شيعة وخوارج، وظن الشيعة العلوين أن الدولة أصبحت لهم، ولكن خاب ظنهم حين قبض أبناء عمومتهم من بني العباس على ناصية الأمر وجعلوه في بيتهما، وعاد الشيعة مرة أخرى إلى نشاطهم كحزب معارض. أما العباسيون فأنهم بداع الانتقام من بني أمية نكلوا بمن بقي منهم تنكيلًا شديداً حتى اضطروهم أن يتخفوا أو يهربوا إلى أقصى الأرض. وكان من هرب من مطاردة العباسيين عبد الرحمن بن معاوية بن هشام (عبد الرحمن الداخل) الذي هرب إلى الأندلس مدفوعاً بعاملين:-

**الأول:-** بُعدها عن مركز الخلافة العباسية في المشرق.

**والثاني:-** كثرة موالي الأمويين بها، واستطاع عبد الرحمن الداخل أن يؤسس في قرطبة إمارة أموية مستقلة، حفز نجاحه في ذلك كثيراً من الأمويين على أن يهاجروا إلى الأندلس، وكان عبد الرحمن يعهد إليهم بأرقى المناصب، وهكذا رسمت أقدام الأمويين في الأندلس<sup>(١٣)</sup>.

لقد استغرق عبد الرحمن الداخل (الأول) طول مدة إمارته (١٣٨-١٧٢هـ/٧٨٨-٧٥٦م) في إخماد الثورات التي قامت ضده وعني بشكل خاص بأن يضرب بيد من حديد على كل دعوة هاشمية، عباسية، كانت أو علوية، إلا أنهم لم يأمروا بلعن الإمام علي بن أبي طالب<sup>(٤)</sup> ولا أحد من أهل البيت<sup>(٤)</sup> على المنابر كما فعل الأمويون في المشرق باستثناء الخليفة عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ) ومن جاء بعده.



من الأشياء التي لها دلالتها في هذا الشأن موقف الأمويين من يوم عاشوراء والذي يعد يوم حداد وحزن لدى جميع فرق الشيعة إلا أن الغلة في الأندلس اعتبروه عيداً خلال الحكم الأموي ويظهرون فيه الفرح ويوزعون الأطعمة وذلك مكايدة للشيعة وشماتة لهم وسجل لنا الشعر وهو ديوان العرب أبياتاً لعبد الملك بن حبيب (ت ٢٣٨ هـ - ٨٤٢ م) كبير فقهاء قرطبة في أيام الأمير الأموي عبد الرحمن الأوسط (الثاني) يقول فيه:-

لا تنسى - لا ينسك الرحمن - عاشوراً وادكره، لا زلت في التاريخ مذكورة  
قال النبي صلاة الله تشمله قوله وجدنا عليه الحق والنورا  
فيمن يوسع في إنفاق موسمه ألا يزال بذلك العام ميسورا<sup>(١٤)</sup>

وهكذا نرى الشاعر الفقيه يحضر الأمير الأموي على الاحتفال بهذا اليوم ناظماً بذلك الحديث الذي يستندون إليه في هذه المسألة. وقد استمرت الأندلس أموية التزعة متغصبة على الرغم من رغم تسرب بعض الأفكار الشيعية ويدرك المقدسي عن الأندلس في القرن الرابع للهجرة فيقول "أن الأندلسيين إذا عثروا على معتزلي أو شيعي فربما قتلواه"<sup>(١٥)</sup>.

ومن أساليب الأمويين الأخرى تجاهل ذكر فضائل الإمام علي وأهل بيته الرسول (ص) لاسيما في بعض أوقات التوتر السياسي بينهم وبين الدول الشيعية منها الأدارسة في المغرب والفاتمية في المغرب ومصر، واستقبال الأندلس للاجئين السياسيين المعارضين للحكومات الشيعية في المشرق والمغرب، والاتصال برجال المعارضة للحكم الشيعي في المغرب ومصر وإشعال الثورات، فضلاً عن العلاقات السياسية والصلات التجارية مع الإمارات السنوية في المغرب ومصر وحوض البحر المتوسط كذلك تشجيع التأليف في الشؤون الأفريقية والشيعية وفي مقدمة الخلفاء الأمويين هو الخليفة الحكم المستنصر (٤٣٦-٥٣٥ هـ) الذي كلف الكاتب محمد بن يوسف القيرواني التاريني الوراق بتأليف موسوعة في جغرافية إفريقية ومسالكها



وشعـج التأـلـيف في أنسـاب الطـالـبـين فضـلاً عـن ترـجمـة الكـتب الـبرـيرـية حـول المـوضـوع.

ضاعـفـ الأـنـدـلـسـيـونـ نـشـاطـهـمـ حـينـ ظـهـرـتـ الدـوـلـةـ الـفـاطـمـيـةـ فـيـ الـمـغـرـبـ سـنـةـ ٢٩٦ـ وـتـزـاـيدـ اـهـتـمـامـ الـخـلـافـةـ الـأـمـوـيـةـ فـيـ الـأـنـدـلـسـ بـالـشـؤـونـ الـأـفـرـيقـيـةـ فـكـانـ لـحـكـومـةـ قـرـطـبةـ عـيـونـ وـوـسـطـاءـ مـنـشـوـنـ فـيـ جـمـيعـ أـنـحـاءـ الـمـغـرـبـ (١٦)ـ كـذـلـكـ النـشـاطـ الـقـاـفيـ الـذـيـ كـانـ يـثـلـهـ الـعـلـمـاءـ وـالـفـقـهـاءـ وـالـشـعـرـاءـ الـذـينـ جـنـدـهـمـ الـأـمـوـيـونـ لـلـدـفـاعـ عـنـ آـرـائـهـمـ السـيـاسـيـةـ وـالـمـذـهـيـةـ إـذـاعـتـهـاـ.

### نقل الثقافة الشيعية إلى الأندلس

دخل التشيع إلى الأندلس بعدة طرق منها:-

أولاً:- دخول بعض البيوت العربية إلى الأندلس والتي كانت تدين بنصرة آل علي من قبل فضلت فيها هذه النزعة متوارثة والمفت للنظر بأن الداخلين إلى الأندلس من الشيعة كانوا من البيوتات التي تعد في حينها أعمدة وأساطير التشيع في المشرق وأن دل هذا على شيء فإما يدل على اعتقادهم بأن هناك أرضية مناسبة على الرغم من وجود الحكم الأموي بقرطبة ومن أشهر الداخلين إلى الأندلس هو هشام بن الحسين بن إبراهيم بن الإمام جعفر الصادق<sup>(٤)</sup> سادس أئمة أهل البيت<sup>(٤)</sup> الذي نزل مدينة بلة وتعرف منزلتهم فيها منازل الهاشمي<sup>(١٧)</sup> ويمكن أن نتساءل ما هي الأسباب التي دفعت هذه الشخصية العلوية أن تترك وطنها وتتوجه نحو الأندلس؟.

عند استقراء النصوص التاريخية لابد وأن تكون الأوضاع السياسية في المشرق غير مؤاتية لبقاء أهل البيت والعلويين فيها لاسيما وأن العباسيين اضطهدوا الأمويين والعلويين على حد سواء كذلك أدرك هاشم أن أوضاع الأندلس مناسبة لاستقراره فيها. كما دخل الأندلس أبناء وأحفاد مالك



الأشرتر، أبناء عمار بن ياسر، أبناء وأحفاد قيس بن سعد بن عبادة الأنباري الذي كان والياً للإمام علي بن أبي طالب<sup>(ع)</sup> على مصر وغيرهم. وكان لدخول هذه العوائل أكبر الأثر في اتساع دائرة التشيع وانتشاره في الأندلس.

ثانياً:- القبائل البربرية الأصل:- كان المغرب تربة خصبة للدعوات الشيعية، وتردد صدى التشيع في الأندلس لأول مرة بين صفوف البربر الذين شاركوا العرب في الفتح، وأستأثر دونهم العرب بمعانم الانتصار وثارتهم، واستوطن البربر على الأغلب في المناطق الجبلية والهضاب المرتفعة لاسيما الممتدة في وسط شبه الجزيرة، وهي التي كانت تعرف "الجوف" كذلك المناطق الجبلية في جنوب شرق الأندلس في كورة البيرة، في حين نزل العرب في الوديان الخصبة والسهول، وكانت المناطق البربرية ميداناً لجميع الثورات الشيعية التي عرفتها الأندلس. ومن أشهر القبائل البربرية (المغاربية) والتي تشيعت هي كتامة، نفرة، صنهاجة وغيرها. وكان لظهور دولة الأدارسة (١٧٢هـ-١٧٨٩م) والدولة الفاطمية بالمغرب (٢٩٦هـ-٩٠٩م) الأثر الكبير في نقل الثقافة الشيعية إلى الأندلس حيث سيتم التحدث عن أثرها في هذا البحث.

ثالثاً:- رحلة الأندلسيين إلى المشرق الذين أخذوا بقليل أو كثير من الثقافة الشيعية لاسيما في العراق أو مصر أو المغرب.

يبدو أن أول من نقل شيئاً من الثقافة الشيعية إلى الأندلس هو محمد بن عيسى القرطبي المعروف بالأعشى (ت ٢٢١هـ) وقد رحل في سنة ١٧٩هـ فذهب إلى العراق مخالفًا بذلك زملاؤه الأندلسيين الذين كانوا في ذلك الوقت يتزدرون على المدينة المنورة للتتفقه على الإمام مالك بن أنس وتلاميذه وقد كانت نتيجة دراسته في العراق أن نقل الأندلس بعض كتب وكيع بن الجراح الذي كان من أكبر المحدثين الشيعة، وله في الدفاع عن مبادئ الشيعة الزيدية.



وعرض عليه القضاة في الأندلس فرفض وكان يذكر فضل الإمام علي بن أبي طالب(ع) ويتحذه قدوته في حياته<sup>(١٨)</sup>.

ومن رحل إلى العراق بعد ذلك عباس بن ناصح الثقفي الشاعر الذي أوفده الأمير عبد الرحمن الأوسط سنة ٢٠١ في التماس الكتب القدية كذلك محمد بن مسرة القرطبي (ت ٣١٩ هـ) قضى مدة من حياته الدراسية في القيروان حين بلغ نشاط الدولة الفاطمية الفتية أوجهه من الناحية السياسية والإعلامية وتأثر بالعقيدة الإسماعيلية، وقضى الجماعة بقرطبة منذ بن سعيد البلوطي (ت ٣٥٥ هـ) الذي رحل إلى المشرق ولم يعتنق المذهب المالكي وكان يميل إلى المذهب الظاهري وأن مصادر تأثيره بالفكر الشيعي كونه بربرياً من قبيلة نفره وهي القبيلة التي نصرت وأمنت بدعة الشاعر أحمد بن معاوية فقط سنة (٢٨٨-٩٠١ هـ) فضلاً عن اثر البيئة التي عاش فيها وهي منطقة الجوف التي كانت أكثر مناطق الأندلس صلاحية للمبادئ الشيعية، على أن أمثال هؤلاء وغيرهم لم يجاهروا بنزعة شيعية صريحة وأن قلوا ألوان من التفكير الشيعي، ولكن ظهور الدولة الفاطمية بالغرب في نهاية القرن للثالث للهجرة (٢٩٦ هـ) جعل بعض العلماء الأندلسين يعتنقون هذا المذهب، ومن هؤلاء محمد بن حيون الحجاري (ت ٣٠٥ هـ) الذي لم يكن يذهب مذهب مالك وكان معاصره يتهمونه بالتشيع<sup>(١٩)</sup>، ولكن يبدو أنه كان حريصاً على كتمان مذهبه حتى لا يتعرض للاضطهاد من قبل الأمويين والفقهاء وعملاً ببدأ التقى الذي كان أصلاً من أصول الشيعة.

رابعاً:- رحلة بعض المشارقة إلى الأندلس وبashروا بنقل ونشر ثقافة أهل البيت<sup>(٤)</sup> أو قاموا بدور الدعوة لمصلحة مواليهم الشيعة أو ممارسة التجارة أو طلب العلم أو السياحة الصوفية. الواقع أنه في نهاية القرن الثالث وأثناء القرن الرابع للهجرة انتشر دعوة الدولة الفاطمية في جميع أنحاء الأقطار الإسلامية وكان الفاطميون في المغرب يجسون النبض ويتربّون للهجوم إما شرقاً نحو



مصر أو شمالاً نحو الأندلس ولهذا دخل كثير من دعاة الدولة الفاطمية إلى الأندلس ليعملوا على استطلاع أحوالها والتعرف على مداخلها ومواطن الضعف فيها ودراسة نظمها السياسية والاقتصادية والدينية ثم محاولة نشر فكرهم بقدر ما وسعهم ومن أشهر الذين وصلوا الأندلس:

١- أبو اليسر الرياضي: كان من الدعاة شاعراً وأديباً وتسميه بعض المصادر الأندلسية بأول الجوايس المشارقة الذي دخل الأندلس أيام الأمير الأموي محمد بن عبد الله الذي فطن إلى نشاطه فأضطر إلى مغادرة الأندلس وذهب إلى مصر ولعله استمر بنشر الفكر الشيعي إلا أنه جبس أيام الأمير أحمد بن طولون لأنهم كانوا يتوجسون خيفة من الدعوات الشيعية إلا أنه تخلص من حبسه وذهب إلى القิروان بتونس وعمل كاتباً لدى الأغالبة وصاحب بيت الحكمة إلى جانب الكتابة ثم عمل لدى الدولة الفاطمية عند ظهورها في تونس سنة (٩٠٨-٢٩٦هـ) واستمر بعمله في الكتابة وربما كان هذا مكافأة له على خدماته السابقة وأصبح من وجوه دعوة أبو عبد الله الشيعي ورافقه في الحملة التي سيرها الداعي الفاطمي لتخلص الإمام عبيد الله المهدي من سجنبني مدرار وذلك عند افتتاح القิروان وقد استمر أبو اليسر الرياضي في خدمة الدولة الفاطمية حتى وفاته سنة (٩١٠-٢٩٨هـ)، وإذا كان أبو اليسر الرياضي لم ينجح كل النجاح في مهمته السياسية في الأندلس إلا أنه نقل الثقافة الشيعية، وأدخل في الأندلس شعر أبي تمام وDubbel الخزاعي<sup>(٢٠)</sup>.

٢- أبو جعفر محمد بن أحمد بن هارون البغدادي: زار الأندلس عدة مرات وكان من الدعاة المعروفين ثم ولد عبيد الله المهدي (سنة ٣٠٠-٩١٢هـ) الكتابة وديوان البريد في الدولة الفاطمية في تونس فضلاً عن القضاء والوثائق في أقاليم الدولة الفاطمية وقد أفاد الدولة الفاطمية



بعلومات عن الأوضاع الإجتماعية والدينية في الأندلس وله الفضل في نشر كتب الماجحظ وابن قتيبة ونشر تعاليم الشيعة الفاطميين<sup>(٢١)</sup>.

٣- ابن حوقل النصيبي (ت ٩٧٧-٥٣٦): من أشهر دعاء الفاطميين الذي دخل الأندلس مستتراً بالتجارة ويسميه ياقوت الحموي بالتاجر الموصلي، وقد ألف كتاباً بعنوان صورة الأرض سجل فيه دخول الدولة الأموية في الأندلس ومواردها الاقتصادية ووصف طرقها ومسالكها فضلاً عن الناحية العسكرية وقد دون هذه الموضوعات في دقة وحاول في كتابه أن يقنع الفاطميين بضرورة فتح الأندلس لكثرة خيراتها ولضعف أهلها في الدفاع عنها ولكن لم يظفر مشروعه بالتأييد من جانب الفاطميين بعد أن انتقلت إلى مصر<sup>(٢٢)</sup>.

٤- الشاعر المشهور ابن هانئ الأندلسي (ت ٩٧٢-٥٣٦) كان من ثمرات الدعوة الفاطمية. شاعر من البيرة (غرناطة) قضى فترة شبابه في الأندلس ثم التحق بخدمة المعز ل الدين الله الفاطمي ثم صار الشاعر الرسمي لدعوة الفاطميين ويُعد شعره وثيقة عن الفكر الفاطمي في مختلف شؤون الدين والعقيدة<sup>(٢٣)</sup>.

هذا ما وصلنا بعض أخبار الدعاة الذين وجهتهم الدولة الفاطمية إلى الأندلس ولكن كيف مارس هؤلاء الدعاة أدوارهم في الأندلس ومدى نجاحهم في نقل ونشر الثقافة الشيعية إلى الأندلس؟

يجب أن نذكر بهذا الصدد أن مهمة هؤلاء الدعاة كانت تمتاز بالتزوير والسرية التامة، ولهذا فإن المصادر التاريخية لم تحفظ لنا بأخبار وافية ومفصلة عنهم.

خامساً:- قيام الدول الشيعية في المغرب والأندلس<sup>(٢٤)</sup>

لا يمكن استيعاب وإدراك الموضوع إلا من خلال استعراض سريع لانتشار



الإسلام والتشيع في المغرب، لما له من أهمية في تشخيص الأدوار التي قام بها العرب والبربر والدول الشيعية في نشر الإسلام والتشيع في الأندلس.

انتشر الإسلام في المغرب بعد الفتح الإسلامي (٩٣٠-٩٤١هـ) على أن إسلام البربر والأفارقة بشكل عام ظل سطحياً حتى خلافة عمر بن عبد العزيز (٩٩٠-١٠١هـ/٧١٧-٧١٩م) الذي بعث مجموعة من العلماء والفقهاء إلى المغرب لتبصير البربر بأمور الإسلام<sup>(٢٥)</sup>.

ونتيجة لتطور الحياة الفكرية في الدولة العربية وظهور المذاهب الفقهية وقيام المغاربة بالرحلة إلى المشرق للتزوّد بالعلم والمعرفة كان لابد أن تكون وجهتهم الأولى الديار المقدسة، ومن الطبيعي أن يكون لقاؤهم أول بالإمام مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ) وقد ساد وانتشر المذهب المالكي في شمال أفريقيا والأندلس فضلاً عن دخول المذاهب الأخرى منها الشيعي والشافعي وغيرها.

ومن أهم عوامل ظهور الإمارات والدول المستقلة في المغرب الإسلامي:-

١- البُعد الجغرافي للمغرب الإسلامي في شمال إفريقيا عن مقر الخلافة العباسية في بغداد مما شجع الثوار والتمردين بالاستقلال عن الخلافة العباسية.

٢- نزعة الاستقلال التي تمثل بالثورات وحركات الشيعة والخوارج في المغرب هي السبب الأساسي في ظهور الإمارات والدول المستقلة.

٣- كثرة وتعدد وتنوع الولاة في المغرب الإسلامي وقصر فترة ولاياتهم.

٤- ضُعف الخلافة الأموية في أواخر عهدها ثم سقوطها سنة ١٣٢هـ ثم ظهور الدولة العباسية ووصول خلفاء حسب مبدأ الوراثة في العصر العباسي الثاني غير قادرين على إدارة الإمبراطورية الإسلامية المترامية الأطراف.

٥- نظراً لأنساع الإمبراطورية العربية الإسلامية من حدود الصين شرقاً إلى



المحيط الأطلسي غرباً حيث تم منح الاستقلال الذاتي للأغالبة بضمانت مالية ولمنع توسيع الأدارسة إلى بقية المغرب الإسلامي لتكون سداً أمام بقية الإمارات المستقلة مثل الرستمية والمدارية والخوارج.

٦- الطبيعة الجغرافية للمغرب الإسلامي من كثرة الجبال الوعرة شجع الثوار على التمرد والإلتقاء إليها<sup>(٢٦)</sup>.

وفي ضوء ما تقدم يمكن أن نحدد ثلاث مراحل لدخول التشيع إلى المغرب الإسلامي.

❖ المرحلة الأولى:- وهي التي تبدأ قبل عام ١٤٥هـ/٧٦٢م وتمثل بنقل المغاربة لأفكار التشيع وبشكل محمد نسبياً عن طريق الحج واحتلاطهم هناك بالشيعة المنتشرين في الديار المقدسة أو عن طريق البعثات العلمية التي كان المغاربة يقومون بها أو عن طريق اتصالهم المباشر بأئمة أهل البيت<sup>(٢٧)</sup>.

❖ المرحلة الثانية:- وهي التي تبدأ من عام ١٤٥هـ/٧٦٢م والتي استمرت إلى سنة ١٧٢هـ بتأسيس دولة الأدارسة بالمغرب، وقد امتازت هذه المرحلة عن سابقتها بكونها مرحلة العمل المنظم والتوجيه المبرمج المدروس الذي خطط له تخطيطاً دقيقاً ومتاماً، وفيها يتفق معظم المؤرخين القدامى والمحاذين على أن الإمام جعفر الصادق<sup>(٢٨)</sup> أرسل إلى المغرب داعييتين هما الحلواني وأبا سفيان سنة ١٤٥هـ/٧٦٢م وأمرهما أن يسطوا ظاهر علم الأئمة آل محمد<sup>(٢٩)</sup> وينشر فضلهم وأمرهما أن يتجاوزا إفريقية إلى حدود البربر ثم يفترقان فينزل كل واحد منهم ناحية من المغرب، وكان أهل تلك النواحي يأتون ويسمعون فضائل أهل البيت<sup>(٣٠)</sup> منهمما بعد أن أسسا مسجدين وتزوجا من أهل المغرب حيث تشيعت كثير من قبائل البربر منها كتامة ونفزة وصنهاج وغيرة في المغرب<sup>(٣١)</sup>.



وبهذا الخصوص يذكر المقرizi (ت ١٤٤١ هـ / ٨٤٥ م) "أن الإمام الصادق<sup>(ع)</sup> قد أنفق إلى المغرب داعيتين هما الحلواني وأبو سفيان وقال لهما: "أنكما تدخلان أرضاً بوراً لم تحرث قط، فحرثاها وذللاها حتى يأتي صاحب البذر فيصبح فيها حبه"، فنزل أبو سفيان في أرض المغرب مدينة مرماجه ونزل الحلواني سوق حماد فلم يزالا يدعوان الناس لطاعة أهل البيت حتى استمالا قلوب جمع كبير من كتامه وغيرهما إلى محبة أهل البيت وصارا شيعة إلى أن دخل إليهما صاحب البذر أبو عبد الله الشيعي بعد مائة وخمس وثلاثون سنة وكان من أمره ما كان"<sup>(٢٨)</sup>.

عند دراسة هذه الرواية والروايات الأخرى في المصادر العربية وأكدتها المراجع الحديثة يبرز السؤال التالي لما ركز الإمام جعفر الصادق<sup>(ع)</sup> على المغرب وإرسال الدعاء بهذا الوقت؟

أن إرسال الدعاء إلى المغرب وفي هذا الوقت بالذات لابد أن تكون هناك جملة أهداف منها:-

١- للوعي السياسي العميق الذي كان يتمتع به الإمام الصادق<sup>(ع)</sup> ، فإنه لم يغب عنه أحوال العالم الإسلامي وكان يعي أن المغرب يمر بمرحلة إنتقالية بعد انتقال السلطة من الأمويين إلى العباسيين سنة ١٣٢هـ / ٧٤٩م).

٢- تعذر التحرك السياسي للإمام الصادق<sup>(ع)</sup> في المشرق بوجود السلطة العباسية وكان يدرك أن أطراف العالم الإسلامي مثل المغرب لا يوجد فيها حكام أقوياء ولا سلطة مركبة والذي سيؤهله لاحتضان المذهب الشيعي ويكون منطلقاً لفكرة ومبادئه وعقيدته وبصورة مدرروسة ومنظمة.

٣- كان هدف الإمام الصادق<sup>(ع)</sup> محاربة الفتنة والبدع المستحدثة لدى قبائل



البربر بسبب دخول حركات الخوارج الصفرية والإباضية وغيرها من الحركات.

٤- لم يغب عن الإمام الصادق<sup>(ع)</sup> المظلومة التي كان عليها البربر بسبب ظلم حكامهم العرب مما جعلهم على استعداد للترحيب بمنقذ من آل البيت يخلصهم من جور الظالمين<sup>(٢٩)</sup>.

❖ المرحلة الثالثة:- أفرزت المرحلتين السابقتين نتائج مهمة أولها انتشار التشيع بين صفوف البربر والثانية قيام الدول الشيعية في شمال إفريقيا، والمتمثل بقيام دولة الأدارسة سنة ١٧٢هـ/٧٨٩م) والدولة الفاطمية سنة (٢٩٦هـ/٩٠٩م) وفي هذه المرحلة تبدأ عملية التأثير المباشر بنقل التشيع إلى الأندلس. واجدир بالذكر أن صلة البربر الذين عبروا إلى الأندلس لم تقطع بإخوانهم في المغرب وبذلك فأنهم لم يكونوا بعيدين عن الفكر الشيعي الذي كان صداحه واسعاً بين صفوفهم، فضلاً عن استمرار هجرات البربر إلى الأندلس حتى أن الحاجب المنصور وابنه عبد الملك وعبد الرحمن استعنوا بالصنهاجيين الذين كانوا من الشيعة. وعند قيام دولة الأدارسة بالمغرب الأقصى واستقام الأمر لأدرис الثاني حيث وفت عليه الوفود من إفريقيا والأندلس ملتفين حوله حتى اجتمع لديه (٥٠٠) فارس من قيس والأزد ومذحج غيرهم وكان ذلك في سنة ١٨٩هـ/٨٠٥م.

وكانت علاقة الأدارسة بالأمويين بالأندلس مبنية على العداء لأن الأدارسة شجعوا نشر التشيع في الأندلس ومساعدة حركات المعارضة لهم، لاسيما وأن الأدارسة لهم طموحات لزعامة المغرب الأقصى في ظل المذهب الزيدى.

أما الدولة الفاطمية فكان لها أكبر التأثير في نشر التشيع في المغرب والأندلس وكان قيامها نذيراً بقيام صراع (مذهبي - سياسي) عنيف بين الأمويين في الأندلس والفاتميين في المغرب، فالفاتميون كانوا ينظرون إلى



الحكم الأموي في الأندلس على أنه امتداد لخلافة دمشق بذكرياتها البغيضة والمساوية لهم، والفااطميون منذ قيام دولتهم بالمغرب فكرروا في غزو الأندلس ومهدوا لذلك بالدعایة الشیعیة بإرسال الدعاة والجواصیس كما ذكرنا سابقاً<sup>(٣٠)</sup>.

### التّشیع فی عهد الطوائف (٤٢٢-٤٨٤ھ) :-

حينما سقطت الخلافة الأموية في قرطبة سنة ٤٢٢هـ / ١٠٣١م، فشلت جميع المحاولات التي بذلت لإعادتها، بدا من أن الجو أصبح صالحًا لكي تشرن الدعوات الشیعیة التي أبتدأت تنتشر في الأندلس منذ زمن بعيد، وقد أحسن العلويون فعلاً انتهاز هذه الفرصة وتحقّق لهم تكوين أول دولة علوية ينخطب باسمها على منابر الأندلس، وتلك الدولة هي الحموية (٤٥٧-٤٧٠هـ) والذين يتسبّبون إلى إدريس بن الحسن العلوي الذي أسس دولة الأدارسة بال المغرب سنة ٧٨٨هـ / ١٧٢م التي كانت أول دولة علوية في الغرب الإسلامي. كذلك ظهرت دولة بني زيري الصنهاجية في غرناطة وهي ذات نزعة شیعیة إلا أن هذه الدوليات أو الإمارات زالت بظهور المراطين ليصبح الأندلس ولاية مرابطية (٤٨٤-٥٤٠هـ).

ومن الغريب أن معظم حُكَّام هذه الممالك قلدوا الخلفاء العباسيين والفااطميين في حياتهم وفي ألقابهم وقد صدق الشاعر أبو الحسن بن رشيق القيرواني حين قال:-

مَا يَزَهَّدُنِي فِي أَرْضِ الْأَنْدَلُسِ أَسْمَاءُ مُعْتَمَدٍ فِيهَا وَمُعْتَدَلٌ  
الْقَابُ مُمْلَكَةٌ فِي غَيْرِ مُوْضِعِهَا كَالْهَرِيْكِي اِنْتَفَاخَ صُورَةُ الْأَسْدِ

وعلى الرغم مما ذُكر عن عهد الطوائف من ترقى سياسي وظهور أكثر من عشرين إمارة أندلسية ولكن من الناحية الفكرية نلاحظ طوال هذا العهد حرية لم تكن الأندلس تتمتع بها في أيام الإمارة والخلافة الأموية وكان لهذه الحرية أثر في عودة كثير من العقاديد الشیعیة إلى الظهور دون أن تلاحقها المطاردة



والاضطهاد من جانب الحكومة. كذلك كان لبغداد تأثير على الثقافة الأندلسية في ظل الحرية التي سمحت لمختلف ألوان الثقافة المشرقية لاسيما وأن بغداد في هذا الوقت كانت من أهم المراكز الشيعية في ظل بنو بويه الذين استولوا على الخلافة العباسية في بغداد (٩٤٥هـ/١٣٣٤م) وفي هذا العهد انتقلت رسائل أخوان الصفا إلى الأندلس فضلاً عن ظهور أشهر الشعراء والكتاب والأدباء الشيعة في بغداد وانتقال تأثيرهم إلى الأندلس منهم أبو بكر الخوارزمي (ت ٩٩٥هـ/١٣٨٥م) وبديع الزمان الهمذاني (١٠٠٧هـ/٣٩٨م) والشريف الرضي (ت ١٠٤٥هـ/٤٠٥م) ومهيار الديلمي (ت ١٠٣٦هـ/٤٢٨م) كذلك ازدادت صلات الأندلس بمصر وشمال إفريقيا وقد تبادلت بعض الرسائل بين علي بن مجاهد العامري صاحب دانيه مع الخليفة الفاطمي المستنصر بالله سنة (٤٥٢هـ/١٠٦٠م) كما هاجر كثير من الأدباء من المغرب ومصر إلى الأندلس وقد ذكرهم ابن بسام في موسوعته الأدبية الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة تحت باب الغرباء. كما ظهر لليهود نفوذاً في ظل الحرية الفكرية.

#### مظاهر التشيع في الحياة الفكرية بالأندلس :-

خير ما يطلعنا على مدى معرفة الأندلسيين بالتشيع والمذاهب الشيعية في هذا الوقت هو ابن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦هـ/١٠٦٣م) في كتابه المشهور "الفصل في الملل والأهواء والنحل"<sup>(٣١)</sup>، وهو ثانٍ مؤلف أندلسي يتكلم عن فرق الشيعة بعد كتاب العقد الفريد<sup>(٣٢)</sup> لابن عبد ربه (ت ٣٢٨هـ) وإذا قارنا بين ما يحتوي عليه الكتابان، تبين لنا مدى ما عرفه الأندلسيون عن التشيع خلال قرن من الزمان: فكلام ابن حزم أدق وأضبط، وأكثر إستقامة مع الواقع التاريخي، وأشد اهتماماً بالنواحي العقدية ووجوه الخلاف بين الشيعة والسنّة، بينما كلام ابن عبد ربه تشيع فيه الروح الأدبية والاهتمام بالمخاترات والنواادر، وابن حزم يتكلم عن طوائف الشيعة معدداً إليها بكثير من التفصيل، كما أنه يتعرض للتشيع الأندلسي وللشيعة الإسماعيلية وهم الذين



كانوا يحكمون حينئذ في مصر وشمال إفريقيا (الدولة الفاطمية). كذلك كتاب دُرر السمحط في خبر السبط وكتاب اللجين في رثاء الحسين لابن الأبار (ت ٦٥٨).

ومن مظاهر التأثير الشيعي في هذه المدة أن مدرسة محمد بن مسره قد استمرت مثله في طائفة من المفكرين كان من أبرزهم إسماعيل بن عبد الله الرعيني الذي عاش في المرية وكان أنصاره يعدونه إماماً يؤدون إليه الزكاة. كذلك تشيع كثير من عرب وبربر الأندلس والتسمية بأسماء أهل البيت وظهور عقيدة المهدي المنتظر كامل في رفع الظلم والعنف عن المسلمين عامة والشيعة خاصة، فضلاً عن هذا تذكر بعض المصادر الأندلسية عن انتشار بعض معتقدات الشيعة في هذه المدة مثل الرجعة، والجفر والتناصح<sup>(٣٣)</sup>.

وفي مجال الأدب، كان الشعر الشيعي في الأندلس صورة صادقة للتشيع الأندلسي وظهر فيه رثاء أهل البيت<sup>(٤)</sup> ولاسيما رثاء الإمام الحسين<sup>(٤)</sup>.

#### المآتم ورثاء الحسين(ع) في الأدب الأندلسي :-

لم تكن الأندلس بعيدة عما كان يدور في الأمصار التي كان التشيع فيها موجوداً، فقد كانت تشهد العزاء والألم والنياحة في ذكرى استشهاد سيد الشهداء الإمام الحسين<sup>(ع)</sup> وقد عرضنا في بداية هذا البحث نص لسان الدين ابن الخطيب (ت ١٣٧٥هـ / ١٢٧٦م) في كتابه "أعمال الأعلام" عن المآتم الحسينية في الأندلس.

ويظهر من هذا الوصف أن النياحة على الإمام الحسين<sup>(ع)</sup> وإقامة شعائر الحزن والأسى عليه قد تداوله المسلمون في الأندلس منذ أن وطئت أقدام المسلمين الأرض وبقيت هذه التقاليد في هذه البلاد الإسلامية النائية حتى القرن التاسع للهجرة / الخامس عشر للميلاد.

وفي مجال الأدب فقد كان التشيع في الشرق من أكبر العوامل التي غدت



الأدب العربي وأورثه بألوان جديدة، وكما كان الحزب الشيعي هو أول حزب إسلامي ديني سياسي فكذلك كان أدب الشيعة أو أدب سياسي حاول شعراً لهم أن يحتجوا فيه على خصومهم مدافعين عن نظرتهم في الإمامة. وكان أدب الشيعة يتميز كذلك في العاطفة وقوة الشعور الديني، ولهذا فقد كانت مدائح شعراً لهم تختلف عن مدائح غيرهم لما فيها من الحرارة والإخلاص، وهو ما يفتقر إليه شعر المديح عموماً في الشعر العربي<sup>(٣٤)</sup> بل أمتاز الأدب الشيعي في الأندلس أن بعض أدبائه أوقفوا من أنفسهم شعراً لكريلا وکفوا عن القول في غيرها حتى أن الشاعر أبو عبد الله محمود بن مسعود بن أبي الخصال الشقوري (ت ٥٤٦ هـ / ١١٤٦ م) جعل من رثاء الإمام الحسين في قصائد مستقلة، لا يشوب تلك القصائد غرض آخر في حين كان الشاعر أبو البحر صفوان بن إدريس التنجي (ت ٥٩٨ هـ / ١٢٠٠ م) من أعلام الشعر في عهد الموحدين والذي قال الشعر في أغراض متعددة ومدح الأمراء والسلطانين فلم يحصل على طائل فأقسام إلا يعود ومدح أحد منهم، وكان ابن دراج القسطلاني (ت ٤٢١ هـ / ١٠٣٠ م) من أفضل الشعراء الذين اتصلوا بالمحموديين، ولم يبق من شعره الشيعي إلا قصيدة هاشمية مدح بها علي بن حمود واحتفظ لنا ابن بسام<sup>(٣٥)</sup> بأكثرها، مفضلاً إياها على هاشميات كثيرة عزة والكميت بن زيد والسيد الحميري ودعبدل، وفي هذه القصيدة يحتاج ابن دراج لإمامية المحموديين ويقول أنها ثابتة بنص القرآن وبدليل العقل، وبحكم حقهم في ميراث النبي (ص):

فأنتم هُداؤ حياة وموت  
وأنتم أئمة فعل وقيل  
وسادات من حل جنات عدن  
جميع شبابهم والكهؤول  
وأنتم خلائف دنيا ودين  
بحكم الكتاب وحكم العقول

وابن دراج أول من ذكر مناقب أهل البيت في أسلوب حزين مؤثر، وكان نواة للقصائد الأندلسية التي تناولت مراثي أهل البيت، والحقيقة أن هذه



القصيدة تعد من خير ما أنتجه الأدب الشيعي، وقد بلغت في وقتها من الانتشار حداً بعيداً واهتم بها رواة الشعر وخصوصاً بالدراسة والحفظ<sup>(٣٦)</sup>.

ولكي لا تخرج عن موضوع البحث نختم بقصيدة حسينية للشاعر أبو البحرين صفوان بن إدريس التنجيبي الذي اختص بتأبين وبكاء أهل البيت ورثاء الحسين (ع) (٣٧).

سلام كأزهار الربى يتتسّم  
على مشهد لو كنت حاضر أهله  
على كربلاء لا أخلف الغيث كربلا  
صارع ضجت يثرب مصابها  
ومكة والأستار والركن والصفا  
لوأن رسول الله يحيى بعيدهم  
وأقبلت الزهراء قدس تربها  
تقول: أبي هم غادروا ابني نهبة  
سقوا حسناً السُّمْ كأساً ردية  
وهم قطعوا رأس الحسين بكرباء  
فخذ منهم ثاري وسكن جوانحا  
أبي وانتصر للسبط واذكر مصابه  
فيما أيها المغورو والله غاضب  
الا طرب يُقلّى الا حزن يصطفى  
قفوا ساعدونا بالدموع فأنها  
ومهما سمعتهم في الحسين مراثيا  
فمدوا أكفاً مسعدين بدعوة

الخاتمة :-

ويظهر مما تقدم أن النياحة على الإمام الحسين (ع) وإقامة شعائر الحزن والأسى عليه قد تداوله المسلمون في الأندلس منذ أن وطئت أقدام المسلمين الأرض وبقيت هذه التقاليد في هذه البلاد الإسلامية النائية في أوروبا حتى خروج العرب من الأندلس ١٤٩٢هـ/٨٩٧م.

**الرأي الآخر:**

عند الإطلاع ومراجعة المصادر والمراجع العربية عن الموضوع يظهر رأي مُضاد من بعض الكتاب الذين كتبوا عن ثورة الحسين (ع) فيها:

أن الحسين (ع) ألقى نفسه في التهلكة وهو محرم بنص الآية (ولا تلقوه بأيديكم إلى التهلكة) وأن الحسين (ع) قُتل بسيف جده لأنّه خرج على إمام زمانه يزيد بن معاوية حسب رأي ابن حزم الأندلسي، وأن يزيد لم يأمر بقتل الحسين (ع) ولكن أمير الكوفة اجتهد بقتله وقد رفض هذا التصرف وأنّه خرج طالباً الخلافة.

هذه الآراء ووجهات النظر تعكس عقيدة وفكر هؤلاء الكتاب لأنّهم لم يدرسوها ويفهموا سيرة أهل البيت (ع) ولم يدرسوا شخصية الإمام الحسين (ع) قبل دراسة ثورته، في حين أن بعض الكتاب من غير المسلمين ومن المحبين للحسين (ع) أدلوا بآرائهم منها:-

أن الحسين وال المسيح (عليهما السلام) يتحدان بالظلمة ويتفقان بالأهداف وهي نصرة الحق وإحياء دين الله فأحبوا الحسين لأنّه يشبه السيد المسيح (ع) من هذه النواحي، وأن الحسين والنبي يحيى (عليهما السلام) قد ظلماً وقطعت رؤوسهما وجالوا بها البلدان فذابت طبقة من الناس حباً بالحسين من هذه الناحية فضلاً عن إعجاب الزعيم الهندي غاندي بثورة الحسين.

هواش البحث

- (٢) عبد الأمير الغزالى، من تاريخ التشيع في الأندلس، شبكة الإنترنت.
- (٣) جميل موسى النجار، دراسات في فلسفه التاريخ النقدية، ط١، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ٢٠٠٤، ص ٩٥.
- (٤) موسوعة أعمال عباس محمود العقاد، دار الكتاب اللبناني، (د.ت) ط٤، ص ٣٢٥-٣٢٦.
- (٥) صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد، المجلد الثاني، ١٩٥٤، العدد الأول والثاني، ص ٩٣-٩٤.
- (٦) تحقيق سيد كسرى حسن، دار الكتب العلمية، ج ٢، بيروت، ٢٠٠٣، ص ٧٤-٧٥.
- (٧) كاظم عبد، الشيعة في الأندلس، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة البصرة، ٢٠٠٩، ص ١.
- (٨) ابن حبيب، عبد الملك، كتاب التاريخ، دراسة وتحقيق خورخي أغواتي، مدريد ١٩٩١، ص ١٣٨-١٣٩.
- (٩) تاريخ علماء الأندلس، تراثنا، القاهرة، ١٩٦٦، ص ١٠٩.
- (١٠) التشيع في الأندلس، ص ٩٦، هامش رقم (١).
- (١١) المقرى، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، حققه د. إحسان عباس، دار صادر بيروت ١٩٦٨، ج ١، ص ٢٣٦-٢٣٨.
- (١٢) كاظم عبد، المرجع السابق، ص ١-٢.
- (١٣) مكي، المرجع السابق، ص ٩٥-٩٦.
- (١٤) المقرى، المصدر السابق، ج ٢، ص ٦.
- (١٥) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، علق عليه ووضع حواشيه محمد أمين الصناوي، دار الكتب العلمية. بيروت ٢٠٠٢، ص ١٩٠.
- (١٦) ابن سعيد، المغرب في حل المغارب، تحقيق د. شوقي ضيف، القاهرة ١٩٥٢، ص ١٨٠.
- (١٧) المقرى، نفح ج ٣، ص ٦٠، لم تقطع وفادة العلوين إلى الأندلس بل استمرت إلى العصور المتأخرة ففي عهد مملكة غرناطة (٦٣٥-١٢٩٧هـ) دخل إليها محمد بن أحمد بن عبد الله والذي يعود نسبه إلى الإمام الحسن (ع) وكان دخوله إلى غرناطة في عهد السلطان أبو الوليد إسماعيل خامس ملوكها كذلك من الداخلين إلى الأندلس من العلوين خلال هذا العهد أيضاً محمد بن إبراهيم بن محمد المكي الحسيني الذي دخل غرناطة بنية الجهاد فأكرمه صاحبها (محمد الرابع) وقرب مجلسه واستوطنه إلى أن توفي سنة (١٣٣٥هـ/٢١٣٢م).
- (١٨) ابن الفرضي، المصدر السابق، تسلسل ١١٥٠، مكي، المرجع السابق ص ٤-١٠.
- (١٩) ابن الفرضي، المصدر السابق، تسلسل ١١٦٤، الحميدي، جذوة المقتبس، تسلسل ١٥.
- (٢٠) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، مدريد ١٨٦٧، ص ١٤٦-١٤٧، مكي، المرجع السابق، ص ١١٢-١١٣.



- (٢١) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، تسلسل ١١٩، مكي، المرجع السابق، ص ١١٣-١١٤.
- (٢٢) ابن حوقل، صورة الأرض، ط. ليدن ١٩٣٨، ص ١٠٨-١١٧، مكي، المرجع السابق، ص ١١٥.
- (٢٣) ابن الأبار، التكملة، ط. كوديرا، مدريد ١٨٨٧-١٨٨٩، تسلسل ٣٥٠، مكي، المرجع السابق، ص ١١٦-١١٧.
- (٢٤) ظهرت إمارات ودول شيعية أخرى في المشرق الإسلامي منها: بني بويه في ظل الخلافة العباسية في بغداد (٣٣٤-٤٤٧هـ)، الحمدانيون في الجزيرة وسوريا (٢٩٣-٣٩٤هـ)، المزیدون في الحلة ووسط العراق (٣٥٠-٥٤٥هـ)، العقiliون في الجزيرة والعراق وشمال سوريا (٣٨٠-٤٨٩هـ)، المرادسيون في حلب وشمال سوريا (٤١٤-٤٧٢هـ)، الأئمة الزيدية (السلالة الرسية) في اليمن (٢٤٦-٨٢١هـ)، الصليحيون في اليمن (٤٣٩-٥٣٢هـ) والإسماعيليون (الشاشون) في فارس وسوريا (٤٨٣-٦٧١هـ)، للمزيد عن الموضوع أنظر الإسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، بوزورث، ترجمة حسين علي البدوي، مراجعة دز سليمان العسكري، الكويت ١٩٩٥، صفحات متفرقة من الكتاب.
- (٢٥) حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشيد، القاهرة، ١٩٩٩، ص ٦٥.
- (٢٦) رضا هادي عباس وكريم عاتي الخنزاري، تاريخ المغرب والأندلس، بغداد، ص ٣٦.
- (٢٧) كاظم عبد، المراجع السابق، ص ١٥-١٧.
- (٢٨) تقى الدين أحمد بن علي، إتعاظ الحنفأ بذكر الأئمة الخلفاء، نشر جمال الدين جمال، ط ٢، القاهرة ٢٠٠٠، ج ١، ص ٤١.
- (٢٩) كاظم عبد، المراجع السابق، ص ٢٠-٢٢.
- (٣٠) كاظم عبد، المراجع السابق، ص ٢٥-٢٦.
- (٣١) طبعة القاهرة ١٣١٧هـ.
- (٣٢) تقديم الأستاذ خليل شرف الدين، دار مكتبة الهلال، ١-٧ مجلدات، بيروت ١٩٨٦.
- (٣٣) مكي، المراجع السابق، ص ١٣١-١٣٢.
- (٣٤) مكي، المراجع السابق، ص ١٣٨؛ عبد الأمير عناد الغزالي، الحسين(ع) في الشعر الأندلسي، مجلة دراسات نجفية، العدد الثالث، السنة ٢٠٠٤، ص ١٦٦.
- (٣٥) الذخيرة، القسم الأول، ١، ص ٧٠-٧٣.
- (٣٦) ابن الأبار، تكملة، تسلسل ١٦٩٥، مكي، مصدر سابق ص ١٣٨-١٣٩، د. حسين جوين، الإمام الحسين(ع) في أدب الأندلس، شبكة الإنترنيت.
- (٣٧) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج ١، ص ٧٤-٧٥.

#### قائمة المصادر والمراجع

#### أولاً.. المصادر

١- ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق كوديرا، مدريد ١٨٨٧-١٨٨٩.



- ٢- ابن بسام، الذخيرة في محسن أهل الجزيرة، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت ١٩٧٩.
- ٣- ابن حبيب، عبد الملك، كتاب التاريخ، دراسة وتحقيق خورخي غوداي، مدريد، ١٩٩١.
- ٤- ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ط القاهرة ١٣١٧هـ.
- ٥- الحميدي، جذوة المقتبس، نشر الأستاذ محمد بن تاویت الطنجي، القاهرة، ١٩٥٢.
- ٦- ابن حوقل، صورة الأرض، نشر مكتبة دار الحياة، بيروت ١٩٧٩.
- ٧- ابن الخطيب، أعمال الأعلام، تحقيق سيد كسرى حسن، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٣.
- ٨- ابن سعيد، المغرب في حل المغارب، ج ١-٢، نشر د. شوقي حنيف، القاهرة ١٩٥٢.
- ٩- ابن عبد ربه، العقد الفريد، ط. القاهرة ١٩٤٨، وطبعة دار مكتبة الهلال، بيروت ١٩٨٦.
- ١٠- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، تحقيق كوديرا، مدريد ١٨٩٠.
- ١١- المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، علق عليه ووضع حواشيه محمد أمين الصناوي، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٢.
- ١٢- المقربي، نفح الطيب، تحقيق د. إحسان عباس، ج ١-٨، دار صادر ١٩٦٨.
- ١٣- المقرizi، إتعاظ الخفا بذكر الأئمة الخلفاء، نشر جمال الدين جمال ج ١، القاهرة ٢٠٠٠.
- ١٤- مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، نشر لافونت الكنترا، مدريد ١٨٦٧.

**ثانياً- المراجع**

- ١- بوزورث، الاتسارات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ترجمة حسين علي اللبودي، مراجعة د. سليمان العسكري، الكويت ١٩٩٠.
- ٢- جميل موسى النجار، دراسات في فلسفة التاريخ النقدية، ط ١، دار الشؤون الثقافية، بغداد ٢٠٠٤.
- ٣- حسين جوبين، الإمام الحسين(ع) في أدب الأندلس، شبكة إنترنت.
- ٤- حسين مؤنس، تاريخ معالم المغرب والأندلس، دار الرشيد، القاهرة ١٩٩٩.
- ٥- رضا هادي عباس، الأندلس محاضرات في التاريخ والحضارة، إلها، مالطا ١٩٩٨.
- ٦- رضا هادي عباس وكريم الخزاعي، محاضرات في تاريخ المغرب والأندلس، بغداد ٢٠٠٩.
- ٧- عباس محمود العقاد، موسوعة أعمال عباس محمود العقاد، دار الكتاب اللبناني، بيروت (د.ت).



- ٨- كاظم عبد الحفاجي، الشيعة في الأندلس، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة البصرة ٢٠٠٨.
- ٩- عبد الأمير عناد الغزالى، من تاريخ التشيع في الأندلس، شبكة الإنترنيت.
- ١٠- عبد الأمير عناد الغزالى، الحسين(ع) في الشعر الأندلسي، مجلة دراسات نجفية، العدد الثالث / النجف ٢٠٠٣.
- ١١- محمود علي مكي، التشيع في الأندلس منذ الفتح حتى نهاية الدولة الأموية، صحيفه المعهد المصري للدراسات الإسلامية، العدد الأول والثاني، مدريد ١٩٥٤.